**نظرية الخلق**

تماما مثل نظرية التعبير قامت نظرية الخلق على الخلفية الفلسفية والفنية ذاتها، فكلاهما استندت إلى الفلسفة المثالية الذاتية حيث نشأت نظرية الخلق كرد فعل على تراجع فكر الطبقة الوسطى إبان أزمتها، وكاحتجاج على تحول الفن والأدب إلى سلعة في العالم الرأس مالي، وكان ذلك في أواخر القرن 19م.

واتجهت نظرية الخلق إلى القول بالفن الخالص الذي يرفض الارتباط بأي قيمة مقصودة في حد ذاتها أو توظيف يجعل من الأدب والفن موجها لخدمة هدف ما. بل قامت على مبدأ الفن للفن، أي أن تكون غاية الفن والأدب هي الأدب في حد ذاته.

وقد اعتبر هذا المنحى في تخليص الفن من أي قيمة دينية- اجتماعيه – سياسية أو غيرها سعيا نحو الجمالية المحضة، ليصبح الفن حرا، ويصبح معيار الأدبية هو مدى قدرته على إثارة الحس الجمالي.

كانت فكرة العودة بالفن والأدب إلى مكانتها السامية والابتعاد عن السوق التجارية والرأسمالية هي الأساس الاجتماعي والاقتصادي والحضاري لها.

كما كان لإخفاقات الرومانسيين وإغراقهم في ذاتيتهم وتقوقعهم على أنفسهم، وجعلهم الأدب وسيلة لبث عواطفهم وقصص حياتهم وعدم اهتمامهم بالأساليب التعبيرية دور في شيوع هذه النظرية التي أعطت اهتمامها الرئيسي لجمال الأسلوب واللغة.

**المرجعية الفلسفية**: استندت هذه النظرية إلى الفلسفة المثالية الذاتية كما فعلت نظرية التعبير، بل بالغت في الذاتية التي رسخت أسسها فلسفة كانط وهيجل، حيث فصل كانط بين الجميل والمفيد، بل جعلهما متناقضين، ورفض الفن حين يرتبط بأية فائدة أو غاية. فبالنسبة إليه لكل شيء غاية إلا الجمال فأمامه نحس بمتعة تكفينا السؤال عن الغاية ولو وجد عالم ليس فيه سوى الجمال لكان غاية في حد ذاته.

إن تفاحة في نظر الرسام ليست هي نفسها في نظر التاجر، فالأول يرى جمالها غاية في حد ذاته، ويكفيه الاستمتاع بمنظرها وما تثيره من أحساس بالجمال، بينما التاجر يراها وسيلة للمنفعة والكسب. وكذلك كانت العلاقة مع الأدب.

ومن ثم فإن الحكم النقدي يجب أن يكون ذاتيا يصدر عن الذوق غير خاضع للمنطق والعقل والسؤال عن الغاية.

أما هيجل فيرى أن مضمون الفن يتمثل في فكرة الجمال مهما كان مظهرها الاجتماعي والعمل.

لقد تأثر بنظرية الخلق الكثير من الأدباء مثل غوتييه الذي اعتبر الفن غاية في حد ذاته وليس وسيلة إلى غيره، كما كان بودلير أول من قال بفكرة الفن للفن، ويرى بأن موضوع الشعر هو الشعر نفسه، والشاعر العظيم هو من يكتب للمتعة فحسب.

وقد انبثق عن هذه النظرية مذهبان أدبيان هما المذهب الرمزي و المذهب البرناسي، وهما مذهبان

فنيان وجماليان بالدرجة الأولى.

**الأدب والواقع**: في نظر برادلي الحقيقة كامنة في الواقع ولكن الواقع بعيد عن الخيال، والأدب وحده وخاصة الشعر هو من يشبع الخيال دون أن يمتلك الحقيقة كما هي في الواقع، ومن ثم ينبغي اعتبار الأدب والواقع ظاهرتين متمايزتين. فهما يسيران في خطين متوازيين دون أن يتقاطعا، وإذا حدث تقاطع فسد الأدب لأنه سيصبح موجها لغاية أخرى من غايات الواقع وسيكون ذلك على حساب الجانب الجمالي في الأدب.

**الأدب والمحتوى**: ليس للفكرة أو المحتوى قيمة عند أصحاب نظرية الخلق والمهم في الأمر هو كيف استطاع الأديب أن يحول هذا الموضوع الذي اختاره من موضوع خارجي إلى عمل فني. والقارئ لا يقرأ العمل الأدبي من أجل موضوعه، والفرق بين الشعراء حين يكتبون في موضوع واحد دليل على أن الخلق الفني يعود بالدرجة الأولى إلى طبيعة الشاعر ومقدرته الفنية ومدى سيطرته على تجربته وتمكنه من عناصر فنه.

**الأدب والعاطفة**: ليس العمل الفني نتيجة للعواطف كما رأى أصحاب نظرية التعبير ولكنه نتيجة لقو ة الخلق والابتكار وجعل اللغة قادرة على الإيحاء والتأثير.

**اللغة والخلق**: العمل الأدبي كائن شكله الفنان الشاعر من ذاته، واللغة مادة الأدب، ومعنى الخلق الأدبي يكمن في سيطرة الأديب على اللغة بما يضفيه عليها من ذاته وروحه، فاللغة موسيقاه وألوانه وخياله وقيمة العمل تكمن في العلاقة ال تنشأ بين اللغة والتجربة الشعورية، والفروق الدقيقة التي تنشأ من هذه العلاقة، فمن خلالها يتفاوت الأدباء، وتتفاوت الأعمال الأدبية**.**

- **المعادل الموضوعي:** ليس الأدب تعبيرا عن العواطف والانفعالات بل هروب منها، وليس تعبيرا عن الذات بل هروب منها، إنه خلق، هكذا يقول ت.س. إليوت في حديثه عن الشعر وتحدث عن فكرة الفن الموضوعي عامة. فالشاعر مثلا لا يجب أن يعبر عن انفعاله بشكل مباشر حين يتأثر بموضوع ما، ولكنه مطالب بالبحث عن معادل موضوعي يوازي تجربته، بحيث يحول عواطفه وأفكاره إلى مركب جديد، وبذلك يكون له شخصيتان الأولى تنفعل والثانية تحوّل.

ولا ينضج الأديب إلا إذا تمكن من الانفصال عن ذاته المنفعلة لينتقل بعمله من الذاتية إلى الموضوعية، أي من التعبير عن الذات إلى الخلق والابتكار.

لقد حرص إليوت على تأكيد فكرتين أساسيتين هما:

- هدم مقولة أن الأدب تعبير عن الذات أو الشخصية.

-وقيمة العمل الأدبي ليست فيما يحتويه من مشاعر ذاتية أو تجارب شخصية ولكن بما يتضمنه من مقدرة فنية وصياغة.

كان لهذه الأفكار انعكاسها على النقد الموضوعي الذي يجعل تحليل القصيدة من جهة التشكيل اللغوي والأنساق والهيئات والتراكيب وتحليل الرموز والدلالات.

لقد قامت نظرية الخلق على الاهتمام بفنية العمل الأدبي واهتمت بالجمال الذي جعل غاية في حد ذاته. وبالتالي فقد ركزت على طبيعة النص الأدبي وهمشت ما يتعلق بمصدره أو وظيفته.